

## الشعر الشوقية الجديدة

لغيري أن يمدح شوقي بلا حساب . أما أنا فلا أريد أن  
أمدح ولا أريد أن أذم . وإنما أريد أن أنقد وأن أوثر القصد  
في هذا النقد ، وأظن أن شوقي يؤثر النقد المنصف على الحمد  
المسرف . وأظن أني أجل شوقي وأكبره والنقد أكثر من  
اجلالى إياه بالتقريظ والثناء ، فقد شبع شوقي ثناءً وتقريظاً ،  
وأحسبه لم يشبع نقداً بعد . وليس شوقي فيما أعلم منه شرها  
إلى حسن الحديث وطيب القالة . وهو لم ينشئ شعره لذلك  
وإنما هو شاعر يحب الشعر للشعر وينشئ الشعر لأنه يجد في  
نفسه عواطف يحب أن يضعها ، وإحساساً يحب أن يذيعه .  
هو شاعر لأنه يشعر وليس هو بالشاعر لأنه يريد أن يتكلم  
لا أكثر ولا أقل .

أنا اذن واثق بأنى لن أغضب شوقي اذا نقده ، وربما  
أغضبه اذا غلوت في الثناء عليه ، على أنى لست في حاجة الى  
هذه المقدمة الطويلة . فقد لا يسهل على ولا يسر لى نقد

هذه القصيدة الجميلة التي نشرتها علينا د. الأهرام ، صباح اليوم .  
نعم قد لا يسهل نقد هذه القصيدة ، وقد يضطر الناقد الى  
أن يتلمس فيها العيب ، ويبحث فيها عن مواضع الضعف ، وقد  
لا يجد شيئاً بعد طول التلّس والبحث فيقف من شوقى  
لا موقف الناقد بل موقف المداعب . وهل تظن أن مداعبة  
شوقى ضئيلة الخطر أو قليلة القيمة ؟ لا أقول كما قالت  
د. الأهرام ، إن قصيدة شوقى هذه هي درة الشعر والنظم :  
وإنما أقول إنها قصيدة من قصائد شوقى فيها الكثير الجيد  
وليست تخلو من الردىء ولشوقى بحمد الله قصائد أمّتن لفظاً  
وأرصن أسلوباً وأحسن في النفس موقعاً ، وأرفع معنى من  
هذه القصيدة .

لا أستطيع أن أتخذ هذه القصيدة مقياساً لشاعرية شوقى  
وحسن غوصه وفوزه بالمعنى الجيد وحسن أدائه في اللفظ  
الرشيق . لا أستطيع ذلك وقد قرأت في الشباب شعر شوقى  
في الشباب فوجدت في هذه القراءة لذة لم أجدها في قراءة  
شاعر عصرى آخر . ليست هذه القصيدة آية من آيات  
شوقى ، وإنما هي قصيدة من قصائده الجيدة ، ولعلك اذا أردت  
أن تتلّس مصدر ما في هذه القصيدة من جودة لم تتجاوز شيئاً

واحداً ، وهو أن شوقي لم يتكلف في هذه القصيدة لفظاً ولا معنى ،  
وانما شعر وأحس وجرى قلبه بما أحس وما شعر . وليس هذا  
بالشيء القليل ولعل هذا هو كل شيء .

اقرأ هذه القصيدة من أولها الى آخرها تشعر بما يشعر  
به شوقي وتحس ما يحسه شوقي . وبم شعر شوقي ؟ وماذا أحس  
شوقي حين تناول القلم فكتب هذه القصيدة ؟ شعر بشيئين  
يشعر بهما كل مصرى ، ولكن شعوراً غامضاً لا يتبينه في  
نفسه ، ولا يستطيع أن يبينه للناس . أحدهما أن لتاريخ مصر  
القديم مجد وعظمة . والثانى أن تاريخ مصر الحديث فقير الى  
هذا المجد والى هذه العظمة . بهذا يشعر كل مصرى وبهذا  
شعر شوقي . ولكن كل مصرى لا يستطيع أن يبين هذا كما  
بينه شوقي ، ولا أن يذهب فيه مذاهب القول التى ذهبها شوقي .  
فانظر اليه كيف ابتداء قصيدته بمناجاة الشمس ، فأخذ  
يسألها ويستوحىها ويحسن سؤالها واستيحائها . وأخذت هذه  
الشمس تجيبه فتحسن الجواب وتلهمه فتجيد الالهام :

قنى يا أخت ( يوشع ) خبرينا

احاديث القرون الغابرينا

وقد وقفت أخت ( يوشع ) تخبره أحاديث القرون

الأولين في أعذب لفظ وأسلسه . وأجمل أسلوب وأرقه  
دون أن تتصف به أو تثقل عليه ، دون أن تفضل به في هذه  
القرون القديمة الكثيرة العميقة ، التي لا يحصى لها عد ولا  
يسبر لها غور . وقفت أخت يوشع فحدثته أو قل إنها ألهمته  
فرد عليها حديثها . أو قل إنها انابته عنها فتحدث الى الناس  
بلسانها ، فأحسن الحديث وأجاد الترجمة .

زعموا أن المأمون كان ينشد قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا ليب تكشف

له عن عدو في ثياب صديق

وكان يقول لو أن الدنيا تكلمت فوصفت نفسها لما

بلغت ما بلغ هذا الشاعر ، أفطن أن الشمس لو تكلمت

فوصفت ما بينها وبين الحياة من صلة ، وألقت على الناس موعظتها

الحسنة في غير اسراف ولا غلو ، في غير تكلف ولا تصف

كانت تقول أحسن من هذا ؟

مشيت على الشباب شواظ نار

ودرت على المشيب رحي طحونا

تعين الموالد والمنايا

وتبين الحياة وتهدمينا

فيالك هرة أكلت بنيتها

وما ولدوا وتنتظر الجنينا

أليس هذا حقاً ؟ أليس هذا بريئاً من كل سقم لفظي  
أو معنوي ؟ أليس هذا واضحاً يفهمه كل عقل ؟ أليس هذا  
عذباً يسيغه كل ذوق ؟ أليس هذا يسيراً يسيراً ؟ أليس  
هذا عسيراً ؟

ولكن الشاعر أراد أن ينتقل من هذه الحكمة البالغة ،  
والعبرة العامة الى موضوعه الذي عمد اليه ، ويخيل الى أنه لم  
يوفق الى حسن الانتقال

أم المالكين بنى (أمون)

ليهنك أنهم نزعوا (أمونا)

لست أدري لم أجد شيئاً من الصعوبة في إساعة هذا  
البيت ؟ ويخيل إلى أنه لو أسينغ لكان عسير الهضم . ولعل  
مصدر هذا اسم (أمون) الأعجمي الذي وقع موقعاً فيه  
شيء من الحرج في هذه الصفحة العريية النقية ولعل مصدر  
هذا بنوع خاص هذا الفعل الغريب الذي تكلفه الشاعر  
تكلفاً ، أو اضطر اليه اضطراراً وهو (نزعوا) يستعمله  
الشاعر بمعنى (أشبهوا) ويمر به القارئ فلا يفهمه ويضطر

الى أن يعطف على هذا الشرح الذى اضطر الشاعر نفسه الى أن يضعه . ولعله كان يستطيع أن يجد فى سعة اللغة وثروتها مخلصاً من هذا الحرج . وفرجاً من هذا الضيق فلا يقف ليشرح ولا يضطر القارئ الى أن يقف فيقرأ الشرح . وهبه انشد قصيدته إنشاداً ولم ينشرها فى «الاهرام» ، أتراه كان ينشد هذا البيت ثم يقطع الانشاد ويعمد الى هذا اللفظ الغريب فيفسره لسامعيه؟ وما لنا نحزن ونحن نستطيع أن نسئل وما لنا نعسر ونحن قادرون على التيسير .

ولعل الشاعر يعذرني أيضاً إذا لم يعجبني هذا البيت .  
ولدت له ( المآمين ) الدواهى

ولم تلدى له قط ( الأمين )

فلفظ ( المآمين ) فيه نبو . ولفظ ( الدواهى ) يبعث الاشتمزاز فى النفس ، ولفظ ( قط ) يخلو من كل جمال شعري . والبيت كله غامض برغم هذه الحاشية التى أضافها الشاعر . والبيت كله مخالف للحق فليس من الحق فى شيء أن ملوك مصر جميعاً كانوا كالمأمون ، وليس من الحق أنه لم يكن بينهم من أشبه الأمين . على أنى أبحث عن هذا الشبه فلا أجده وأكاد أخشى أن يكون الشاعر قد ظلم الأمين كما ظلمه

القصاص والرواة .

ثم مضى الشاعر في لفظ سهل ، ومعنى ليس بالغريب ولا بالمبتذل ، الى ان قال فأجاد اللفظ والمعنى :

تعالى الله كان السحر فيهم

أليسو للحجارة منطقينا ؟

واستأنف مضيه ليس بالجيد ولا بالردىء الى أن انتهى الى الخلود ، فأحسن وصفه وأجاد التعبير عنه ولا سيما حيث يقول .

وأخذك في فم الدنيا ثناء

وتركك في مسامعها طنيناً

وان كنت أجد لفظ ( الطنين ) قلقاً في موضعه ضعيفاً كل الضعف غير ملائم لصدر البيت ، انظر الى هذا الصدر تجده نغماً ضخماً واسعاً رائعاً ( وأخذك في فم الدنيا ثناء ) ثم انظر الى عجز هذا البيت تجده خاملاً ضئيلاً نحيفاً ، وهل نستطيع ان نضع ( الطنين ) بازاء هذا الثناء الذى ينطق به فم الدنيا ؟ وأين يقع الطنين هذا الصوت النحيل من هذا الثناء ثناء الدنيا الذى لا حد له ؟

فناجيهم بعرش كان صنواً  
لعرشك في شيبته سنينا  
فهو لا يخلو من مسحة شعرية .

ولكنى اعتذر الى الشاعر اذا استثقات هذا البيت الذى  
نظمت فيه أسماء الفراعنة نظم الخرز

وتاج من فرائده ( ابن سیتی ) و ( مينا )

ومن خرزاته ( خوفو ) ( ومينا )  
وليس اجمل من اعتذاره عن قدماء المصريين ودفعه  
عنهم تهمة الظلم ومن استشهاد بظلم ( البستيل ) وذكره  
بنوع خاص ظلم القيس فى بناء البيع التى هى مأوى العدل  
والرحمة ، فى ذلك على جماله الشعرى بر يملأ النفس حنانا .  
وان كنت أكره وصف عيسى بشافى العمى . وأظن ان قد  
كان للشاعر منصرف عن هذا اللفظ الثقيل المبتذل .

فأما قوله ( اخا اللوردات ) فليس من شوقى فى شيء .  
وليس من شوقى فى شيء وضعه هذا الاسم الأعجمى  
( كرنارفون ) موضع القافية وجميل وصفه للورد وثنائه  
عليه وعظته إياه . ولكن أجمل من هذا كله اعتذاره الى  
اللورد من غضب الغاضبين واشفاق المشفقين . فى هذا



الاعتذار تُلطف باللورد ، وحنان على مصري يحسن شوقي  
وحده تأديتهما :

رأيت تكرا وسمعت عتبا فعذرا للغضاب المحققينا  
ابوتنا وأعظمهم تراث نحاذر أن يؤول لآخرينا  
ونأبى أن يحل عليه ضيم ويذهب نبهة لناهينا  
سكت فحام حولك كل ظن ولو صرحت لم تثر الظنونا  
هذه الأبيات تعدل آلاف المرات ما كتب الكتاب  
الى اللورد كارنارفون من لوم وعتب ومن شكر واعتذار .  
ثم عطف الشاعر على الانجليز فرماهم بسهم أصاب منهم  
المقتل ، وأحسن الدفاع عن المصريين ، وذلك قوله فى لطف  
وخفة روح :

أمن سرق الخليفة وهو حى يعف عن الملوك مكفيننا  
وان كانت كلمة (مكفين) لاتعجبني . وقد أحسن الشاعر  
مناجاة خليليه ومناجاة فرعون ووعظ فأبلغ العظة . ولكن  
انتقاله من وادى الملوك الى لوزان لا يخلو من غرابة ، وربما  
كانت هذه الغرابة نفسها مصدر شيء من الجمال كثير . وان  
كنت أشك فى أن وفود لوزان شغلت بفرعون كما يخيل  
الى الشاعر . ولكن الحكومة المصرية خليقة أن تقرأ وخليقة

أن تتعظ ؛ وخلقاً أن تعمل .

اتعلم انهم صلفوا وتاهوا    وصدوا الباب عنا مو صدينا  
ولو كنا نجر هنا سيفاً    وجدنا عندهم عطفاً ولينا  
سيقضى (كرزن) بالامر عنا    وحاجات (الكنانة) ما قضينا  
فهل ترى أبلغ من هذا البيت في وصف الألم واللوعة  
لقضاء سينالنا دون أن يكون لنا في أمره شيء ؟

ولقد أعجز العجز كله إن أردت أن أصف لك جمال هذه  
القطعة الصافية المتألثة من قصيدة شوقي . هذه القطعة التي  
يتحدث فيها الشاعر الى فرعون فيسأله ويستنطقه بالحكمة  
العالية والموعظة الحسنة ويضع أمامه هذه الألفاظ التي عجز  
العقل والوجدان عن حلها : أَلْغاز الحياة والموت . أَلْغاز البعث  
والنشور . أَلْغاز الصلات الاجتماعية بين الناس .

ثم ينتقل الشاعر أحسن انتقال ، يثب ويخيل اليك أنه  
يخطو . يثب من عصر الفراعنة الى العصر الذي نعيش فيه .  
فتراه شاعراً مصرياً يعيش في هذه السنة يحس مانحس ،  
ويشفق مما نشفق منه . يحب الدستور ويكلف به ، ويتمنى على  
صاحب الجلالة في ألد لفظ وأعذبه وفي أمتن أسلوب  
وأصفاه في أشد العبارات تمثيلاً لأصدق العواطف . يتمنى

على صاحب الجلالة اصدار الدستور :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| زمان الفرد (يا فرعون) ولى  | ودالت دولة المتجبرينا     |
| وأصبحت الرعاة بكل أرض      | على حكم الرعية نازلينا    |
| (فؤاد) أجل بالدستور ملكا   | وأشرف منك بالاسلام دينا   |
| بنى (الدار) التى لا عز إلا | على جنباها للمالكينا      |
| ولا استقلال إلا فى ذراها   | لمتبوع ولا للتابعينا      |
| ترى الأحزاب ما لم يدخلوها  | على جد الحوادث لاعبينا    |
| إذا سارت به أيد شمالا      | أنت أيد فسرن به يمينا     |
| فجبل يا (ابن اسماعيل) عجل  | وهات النور واهد الحائرنا  |
| هو المصباح فأت به وأخرج    | من الكهف السواد الغافلينا |

ذلك ما أحسه شوقي أمام تاريخ مصر القديم، وهذا ما قاله  
عن الدستور أما ما قاله حافظ فقد نعرض له فى مقال آخر.

---

## النظم

### قصيدة حافظ الأخيرة

كل شعر نظم ، وليس كل نظم شعراً . وقد يشعر الناظم  
وينظم الشاعر . بل الشاعر ناظم دائماً . وليس الناظم شاعراً  
في كل وقت .

ولست أشك ولا يشك أحد في أن حافظاً قد شعر كثيراً  
فأجاد الشعر وأحسنه . ولست أشك ولعل حافظاً لا يشك  
أيضاً في أنه كان ناظماً في الأسبوع الماضي حين أنشد بين يدي  
صاحب الجلالة هذه القصيدة التي لم أكن أريد أن أعرض  
لها لو لا أن شوقي تكلم وتناول في قصيدته التي نقدتها أمس  
موضوعاً تناوله حافظ ، وهو الدستور :

نعم لم أكن أريد أن أعرض لقصيدة حافظ لأنها لم  
تبعث في نفسي ميلاً إلى أن أصفها بخير . ولعلها بعثت في  
نفسي ميلاً إلى أن أنقدها وإلى أن أكون شديداً قاسياً في  
هذا النقد .

وقد استطعت أن أؤثر اللين على الشدة وأعدل عن

القسوة إلى الرفق لأن بيني وبين حافظ صلوات مودة دعتنى  
أو اكرهتنى على أن أميل مع الهوى فأكتب حقاً كان يجب  
أن لا يكتبكم .

وأنا أعتذر من هذا الصمت إلى حافظ أولاً ، وإلى القراء  
ثانياً ، وإلى الأدب بعد حافظ والقراء .

أعتذر إلى حافظ من هذا الصمت فأنا أعلم أن النقد صنيعة  
يسديها الناقد إلى الكتاب والشعراء . لأن هؤلاء الكتاب  
والشعراء يستفيدون من النقد أكثر مما يخسرون . يعرفون  
رأى الناس فيما يكتبون ويقولون ، وليست هذه المعرفة قليلة  
الفائدة . يعرفون رأى الناس ويعرفون رأى الاختصاصيين .  
فيقفون على مواضع القوة والضعف في فصولهم وقصائدهم  
فينفعهم هذا ويزيدهم قوة ، إلى قوة ، ويعصمهم من السقوط  
والإسفاف . ثم في النقد اقرار للحق في نصابه ودفاع عن  
الفن وتبصرة لما في الآثار الفنية من جمال أو عيب .

ولست أريد أن أدافع عن النقد ولا أن أثبت أنه حق  
وأنه نافع ، فالناس لا ينكرون ذلك ولا يشكون فيه .

ولست أريد أن أزعّم أن حافظاً ينكر على الناس أن  
ينقدوه ، فليس في ذلك شك وكثيراً مادعا حافظ أصحابه

وخصومه الى نقده ودلالته على مواضع ضعف ومواضع  
نقص في قصائده قبل أن تنشر ، وبعد أن تنشر على الجمهور .  
إذا فقد كان من الحق على الحافظ أن أنقده ولكن سكت  
فقصرت في ذات حافظ وأنا مصلح اليوم هذا التقصير .  
وقد كان من الحق على للقراء أن أنقد حافظاً ، حتى  
لا يخلط كثير منهم بين جيد هذا الشاعر وهو كثير . وبين  
رديته وهو قليل . ولكني سكت وأنا مصلح اليوم  
هذا السكوت .

وقد كان من الحق على للأدب أن أنقد حافظاً حتى  
لا يضاف الى الشعر ما ليس منه ، ولا يحسب على الفن أثر  
ليس من آثاره في شيء . وللأدب على أهله حق المراقبة  
والنصح وليس يعذر المقصر في هذا الحق لأن الأدب يحيا  
من انتاج الشعراء والكتاب كما يحيا من اصلاح النقاد لآثار  
الكتاب والشعراء . فكما أن سكوت الكتاب والشعراء عن  
الكتابة والشعر إمالة للأدب أيضاً . وقد أعرضت عن نقد  
هذه القصيدة ، وأنا مصلح الآن هذا الاعراض .

ولو أنك أردت أن تبين دخيلة نفسي لقلت لك بعد أن  
ترددت اسبوعاً إن هذه القصيدة لا ينبغي أن تحسب على

حافظ ولا أن تضاف إليه . لأن حافظاً قد قال من الشعر  
وظلم من القصائد ممالك القلوب وخبب العقول واستأثر  
بالألباب ما ليس إلى نسيانه من سبيل . ويخيل إلى أن إضافة  
هذه القصيدة إلى هذا الشاعر المتقن إساءة إلى إتيقانه ، وأن  
وضع هذه القصيدة بين قصائده الجياد ازراء لهذه القصائد .  
وأحسب أن حافظاً يحسن الإحسان كله إذا لم يضع هذه  
القصيدة فيما سينشر من أجزاء ديوانه ، فليس لها موضع في  
هذا الديوان .

بحثت عن الشعر في هذه القصيدة فلم أجد شيئاً ، وأنا  
أزعم أن ليس من النقاد من يستطيع أن يجد ما عجزت أنا  
عن الوصول إليه ، بل أزعم أكثر من هذا ، بل أزعم أن  
حافظاً عاجز نفسه عن أن يجد شيئاً من الشعر في هذه  
القصيدة ، وما أشك في أنه فيما بينه وبين ضميره مقتنع بهذا  
الرأى مطمئن إليه .

لقد قرأت القصيدة وقرأتها . ورددت آياتها ، رددتها  
وسألت فيها كل بيت ، بل كل شطر ، بل كل كلمة عن شيء  
من جمال الشعر أو قليل من روعة الفن فلم أوفق إلى شيء .  
ولست آسف لأن حافظاً لم يجد في هذه القصيدة ، فقد

يرتفع الشاعر وقد يهوى وقد يعلو الفنى وقد يسقط . ولئن لم يوفق حافظ فى هذه القصيدة إلى الإحسان فقد وفق إليه فى قصائد أخرى كثيرة ، وقد يوفق إليه فى قصائد أخرى كثيرة . وإنما آسف لأن حافظاً سكت عصرأ طويلاً أطول مما ينبغى أن يسكت الشاعر ، ولما قال لم يحسن القول . وما مصدر هذا ؟ وما أصله ؟ وعلى من تقع التبعة ؟ أحق أن العصر الذى نعيش فيه ليس عصر شعر ولا فن ؟ وإن انصرف الناس عن الشعر والفن إلى هذه الحياة ، وإلى هذه الحياة السريعة العملية التى تنهم القوى وتسم النفوس قد ثبت من هم الشعراء والكتاب وصرفهم عن الشعر إلى النظم ، وعن النثر الرائع الجميل إلى هذه الكتابة المألوفة التى تقرأها فى كل يوم . قد يكون هذا حقاً ، وقد لا يكون . ولكن هناك حقاً لا شك فيه وهو أن الشعر الجيد فى هذا العصر قليل لا يكاد يوجد ولا يعثر به . وهذه القلة نفسها هى التى بعثنا إلى أن نعجب أمس بقصيدة شوقى ، مع أنها كما قلنا لا تفوق غيرها من قصائده .

الشعراء إذاً مكرهون على أن يسكتوا لأن فى حياتنا الاجتماعية شيئاً يضطرهم إلى السكوت ، وقد يكره الشعراء



على أن يتكلموا فيتكلمون . لكن أى قيمة لشعر مصدره  
الأكراه !

فالشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما فى نفس  
الشاعر من عاطفة . مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلاً فطرياً  
بريئاً من التكلف والمحاولة ، فإذا خلعت نفس الشاعر من  
عاطفة ، أو عجزت هذه العاطفة عن أن تنطق لسان الشاعر  
بما يمثلها فليس هناك شعر ، وإنما هناك نظم لا غناء فيه .  
ولست أدرى أخلفت نفس حافظ من العاطفة القوية أم  
عجزت هذه العاطفة عن أن تجرى لسان حافظ بالشعر الجيد  
ولكنى أعلم أن ليس فى هذه القصيدة من هذا الشعر شيء .  
أول ما يؤذيك حين تقرأ هذه القصيدة خلو أبياتها جميعاً  
من كل معنى رائع أو تصور بديع . فانك تنتقل من البيت  
إلى البيت فلا تجد إلا ألفاظاً مرصوفة وكلها منظومة يتلو  
بعضها بعضاً ، وتدل على معانيها اللغوية لا أكثر ولا أقل فإذا  
عمد الشاعر إلى التشبيه أو المبالغة أو أى حيلة من هذه الحيل  
اللفظية التى يخلص الشعراء بها من المازق لم يجد إلا ألفاظاً  
مألوفة ومعانى كثيرة ما ردها الشعراء ، وطرقاً من التعبير  
قد سئمتها الناس .

فانظر اليه حين أراد أن يقول إن صاحب الجلالة قد  
رفع شأن الأزهر الشريف ، حين زاره كيف لم يستطع أن يقول  
إلا شيئاً عادياً مبتذلاً يردده الناس جميعاً ، ويسمعه الناس  
جميعاً ، فلا يجدون فيه غرابة ولا لذة ، فقال :

قضيت به الصلاة فكاد يزهي

بزائره على ركن الحطيم

فهل تجد في هذا البيت معنى طريفاً أو وصفاً رائعاً ؟ وهل  
تجد في هذه المبالغة شيئاً من الجمال ؟ وانظر الى مبالغة أخرى  
كيف أساء الشاعر أدامها ، فقال يريد أن يصف قوة النهضة  
المصرية ، وأن يستنبط هذه القوة من شدة الخمول القديم :

أفقنا بعد نوم فوق نوم

على نوم كأصحاب الرقيم

فهل تجد جمالا أو شعراً في كثرة هذا النوم ؟ اليس  
يذكرك هذا البيت بيتاً مثله قديماً وهو قوله :

فما للنوى جذ النوى قطع النوى

كذاك النوى قطاعة لوصالى

سمع الأصمى هذا البيت فقال ، لو سيط الله على كل

هذا النوى شاة فأكلته !

فإذا عسى أن نقول في نوم حافظ ! وهل تجد لأصحاب  
الرقيم هنا موضعاً يلائم قصيدة حافظ . أليس الناس جميعاً  
يذكرون الكهف وأصحاب الكهف ونوم أصحاب الكهف ؟  
وانظر إلى مبالغة ثالثة أساء فيها حافظ الاساءة كلها حين أراد  
أن يذكر اغتباط مصر إذ صدر الدستور :  
فيا مصر اسجدي لله شكراً

وتيهي واقعدى طرباً وقوى  
( إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها  
وقال الإنسان ما لها ) أجب حافظ : صدر الدستور ! وإلا  
فهل ترى مصر تتيه وتقعد وتقوم طرباً دون أن يكون  
هناك زلزال ؟ . ثم قوله ( اسجدي لله شكراً ) وماذا ترك  
للعمامة ؟ ومثل هذه المبالغات التي تخلو من كل روعة . ومثل  
هذه الألفاظ التي ابتذلت على ألسنة العمامة كثير في  
القصيدة ، وفي الحق أن ابتذال الألفاظ من أشد عيوب هذه  
المنظومة فانظر إلى قوله :

فقد تم البناء وعن قريب

تزف لك البشائر من ( نسيم )

أليس من كلام الأسواق ؟ أليس غريباً أن يكون هذا

الكلام من آثار حافظ الذي استعمل أشد ألفاظ اللغة غرابة وأكثرها وحشية في كتاب البؤساء . الذي استعمل (مِسلّاخ الشَّرّة) وما يشبهه (مِسلّاخ الشرة) من غريب الألفاظ وهل عجز حافظ عن أن يتخير متين الكلام ورصينه في غير وحشية ولا ابتذال . وانظر إلى هذا البيت الذي ربما خيل إلى الشاعر أنه خفيف الروح :

أياذن لي المليك البرُّ أني

أهني مصر بالامر الكريم

أترى فيه لفظاً من ألفاظ الشعر أو معنى من معاني الشعر ومن أشد عيوب هذه القصيدة أن قوافيها غير مستقرة في مواضعها . فقد تجد هذه القافية قلقة مضطربة وتشعر بأنها لم تأت إلا لأن الشاعر قد احتاج إليها ، لم يدعها المعنى وإنما دعاها التكلف . انظر إلى هذا البيت :

رأى فيك ( المعز ) زمان أعلى

قواعده على ظهر الأديم

ما تقول في ( ظهر الأديم ) وقد أراد الشاعر أن يقول الأرض بل لم يرد أن يقول شيئاً إلا في ( المعز ) رفع قواعد الأزمهر . ولعل قواعد المساجد والعمارات لا ترفع على ظهر

الهواء وانظر الى هذا البيت :

شرفها بركبك وافتحها

وأسعدما بدستور تميم

فانظر الى (تميم) هذه ، أليست نائية في موضعها؟ أليست

تذكرك قول العامة ( دستور تمام ) ثم ما ( شرفها بركبك )

هذه ؟ وما ( افتحها ) ؟

وانظر الى قوله :

فدار البرلمان أعز دار

تشاد لطالب المجد الصميم

أليس ( المجد الصميم ) لفظاً دعت إليه القافية ؟ وهل

تجد للصميم هنا فضلاً على الطريف أو التليد أو الأثيل ؟ .

وانظر الى قوله :

بها يتجمل العرش المفدى

وتحيا مصر في عيش رخيم

أترى إلى ( العيش الرخيم ) أليست تجد فيه أثر التكلف ؟

ثم أليس في ( الرخيم ) شيء من الأنوثة قد لا يابق بهذا المقام ؟

ثم ما قيمة البيت في نفسه إذا قرأت بعده قول شوقي :

بنى الدار التي لacer إلا على جنباتها للعالم كينا

وقد ذكرت شوقي ، وكنت أرد ألا أذكره الآن ،  
فإن الموازنة بين ما قال في الدستور ، وبين ما قال حافظ في  
الدستور أيضاً مرّة ، مؤلمة النتيجة . تقرأ أبيات شوقي فلا  
تشك في أنه يصف ما يشعر به وما تشعر به أنت أيضاً .  
وتقرأ أبيات شوقي فتجد فيها المعاني الغالية القيمة ، قد أدبت  
في اللفظ العذب الرشيق . ليس فيها للبحث أثر ولا للتكلف  
مظهر . فإذا قرأت أبيات حافظ لم تجد شيئاً . وإنما آذتك  
ألفاظ متكلفة وقواف أنزلت في غير منازلها ، وأكرهت على  
أن تستقر حيث لا تحب .

لأمر ما أثبت شياطين الشعر أن تسعد حافظاً فأخلفنا  
في هذه المرة ، ولكننا لا نياس من لقاء حافظ ، ومن لقائه في  
وقت قريب .

## شعراؤنا ومترجم أرسططاليس

ربما كان أستاذنا الجليل أحمد لطفى السيد أوفر كتاب هذا العصر ومؤلفيه حظاً من السعادة وأحقهم بالقبطة والرضا ، فما أعلم أن كاتباً أو مؤلفاً مصرياً ظفر بمثل ماظفر به الأستاذ من هذا الثناء المتصل والاعجاب الذى لا حده ، وما أعلم أن كاتباً أو مؤلفاً مصرياً فى هذا العصر أكره خصومه وأصدقائه على أن يحمدوا له عمله فى غير بخل ولا نقشير ، وما أعلم أن كاتباً أو مؤلفاً مصرياً فى هذا العصر أجرى أقلام الكتاب بحمده وتقريظه ، وأطلق السنة الشعراء بمدحه وإطرائه كما فعل الأستاذ لطفى السيد حين أذاع فى الناس ترجمته لأخلاق أرسططاليس ، فقد أجمع الكتاب على اختلاف أهوائهم ومذاهبهم وعلى افتراقهم فى حب الأستاذ والانصراف عنه على حمده وتقريظه ، وشكر ما قدم الى اللغة العربية من خير بترجمته هذا الكتاب ، وليس يعيننا ما كتب الكتاب من رسائل وفصول نشرتها الصحف

وقراها الناس ، وانما الذى يعيننا هو هذا الشعر الذى أطلق به الأستاذ السنة الشعراء وأى الشعراء ! شوقى وحافظ ونسيم . فاذا كان من الحق علينا أن نقدم الى الأستاذ تهنئتنا الخالصة بهذا الثناء الطيب الذى هو أهل له ولخير منه ، واذا كان من حقنا أن ثبت فى هذا الفصل أننا لم نكن مخطئين فيما قدرناه يوم كتبنا عن الأستاذ وعن ترجمته لأرستطاليس من أن ظهور هذا الكتاب حادث أدبى ليس كغيره من الحوادث . نقول اذا كان هذا كله من حقنا فقد يكون من حقنا أيضاً أن نقف عند هذه القصائد الثلاث التى أنطق الشعراء بها كتاب الأخلاق لأرستطاليس لنتبين وجهاً من وجوه القوة الشعرية فى هذا العصر عندنا بعد أن بينا فى الفصول الماضية شيئاً من وجوه الحياة الأدبية فى هذا العصر وأنا أعلم حق العلم ان من الاسراف ان نحكم على القوة الأدبية فى هذا العصر بكتاب مذهب الأغاني وتهذيب الكامل وبلاغة العرب فى الأندلس . وأعلم كذلك حق العلم ان من الاسراف والظلم أن نحكم على قوة الشعر فى هذا العصر بهذه القصائد الثلاث التى أنشأها شوقى وحافظ ونسيم فى مدح الأستاذ لطفى السيد وترجمته لأخلاق أرستطاليس ، أعلم أن هذا اسراف وظلم



فإن لشوقي وحافظ ونسيم وغيرهم من الشعراء قصائد أخرى  
قيمة ذهبوا فيها مذاهب مختلفة من الجد والهزل فيها لذة  
لنفس ، ومتعة للقلب ، ورضا لمن يحب النقد . ولهذا أحب  
أن يلاحظ القارئ أني لا أتخذ هذه القصائد عناوين  
شعرائها ولا مقاييس لحظوظهم المختلفة من الاجادة  
والاساءة ، ومن السمو والاسفاف ، وإنما هي فرصة نتحدث  
إليك فيها عن هؤلاء الشعراء وعن بعض أنحائهم في الشعر  
ومذاهبهم حين يعمدون إليه ، وليس من شك في أني لا أبخل  
بالثناء الطيب العذب على هؤلاء الشعراء جميعاً ، فهم حين  
انشأوا قصائدهم هذه لم يستجيبوا إلا لعاطفة شريفة قيمة  
هي عاطفة الانصاف وإكبار من يستحقون الاكبار ، والوفاء  
لمن هم أهل للوفاء . وليس هذا في نفسه بالشئ القليل ولا  
سيما بالقياس الى الشعراء . وأنت تعلم أن الأستاذ لطفى السيد  
على جلال خطره وعلو مكانته في أمته ليس هو بحيث يستطيع  
أن يبتز ثناء الشعراء أو يتعلق آلهة الشعر وما كان ذلك من  
شأنه ولا من أخلاقه ، فشعراؤنا اذن صادقون غير متكلفين ،  
مخلصون غير متصنعين فيما قدموا الى الأستاذ من مدح وفيما  
أهدوا إليه ، ومن ثناء بل أنا لا أبخل على شعرائنا الثلاثة بشيء

من الثناء غير قليل لما وفقوا اليه من الوجهة الفنية الخالصة  
فكلهم قد وفق الى شيء من الابداع لا بأس به ، وكلهم قد جد  
في تخير الألفاظ واتقان النظم وإحكامه وإقرار القافية في  
نصائرها فوفق من هذا كله الى الشيء الكثير ، وكلهم قد اجتهد  
في الغوص على المعاني - كما يقولون - وتلمس الغريب الطريف  
منها فلم يخطئه الحظ ولم تفته الطلبة وإنما عاد بشيء يمكن أن  
يخصي بين الحسنات الشعرية ، على أني أستاذ شعرائنا  
وأستاذ من قبلهم أستاذنا لطفي السيد في أن أكون حراً  
حين أنقد هذه القصائد ، فقد تعودت هذه الحرية وحرصت  
عليها وأكبرتها عن أن أضحي بها في سبيل انسان مهما تكن  
منزلة من الناس ومنى ، ولو كان هذا الانسان هو الأستاذ لطفي  
السيد أو شوقي أو حافظاً أو نسيماً .

أريد أن أكون حراً ، واذن فأنا معتمد الى شعرائنا  
الثلاثة اذا لاحظت أنهم جميعاً قد عرضوا لذكر أرسطاليس  
ومدحه والاشادة بآثاره وسلطانه على الأجيال وهم لا  
يكادون يعرفون من أمره شيئاً . نعم ذكروا أرسطاليس  
ومدحوه وهم يجهلونه ويجهلون آثاره وأرجو أن يصدقوني  
- وهم يصدقوني - اذا قلت إنهم يجهلون حتى كتاب

الأخلاق الذى أنشأوا من أجله هذه القصائد ، وما أظن أن  
علمهم بهذا الكتاب يتجاوز مقدمة الأستاذ لطى السيد ، وما  
أحسب أنهم جميعاً قرأوا هذه المقدمة وأحاطوا بما فيها حقاً ،  
وهنا أتردد بين العتب والثناء فقد يكون مما يستحق الثناء  
والاعجاب أن يعمد الشاعر الى موضوع لا يدركه ولا يحيط  
بدقائقه وأسراره فيقول فيه شعراً لا يخلو من جودة ولا  
يبرأ من احسان ، ولكنى ثقيل ملحاح ، شديد الطمع مسرف  
فى الحرص على المثل الأعلى ، فأنا لا أرى لشعرائنا الجهل ،  
ولا أحب لهم ان يعرضوا للأشياء الا اذا اتقنوها اتقاناً ،  
وظهروا على دقائقها وأسرارها حقاً . وقد أفهم أن يقول  
الشعراء ما لا يفعلون ، ولكن لا أفهم أن يقول الشعراء  
ما لا يعلمون ، ولست أرى أنى أغلو فى ذلك أو أسرف ، فما  
كان الجهل مصدراً للخير ولا وسيلة للاجادة ولا طريقاً الى  
البراعة الفنية ، وما رأيك فى مثال يطمع فى ابتكار الآيات  
الفنية وهو يجهل التشريح ، وما يتصل به من تكون الجسم  
الانسانى وما الى ذلك من هذه العلوم ، التى لا سبيل الى  
الاجادة الفنية بدونها . إن الاجادة الفنية اذا كانت أثر من  
آثار الشعور ومظهراً من مظاهر الحس القوى . وانعواطف

الدقيقة والخيال الخصب . فهي لغو اذا لم تستمد غذاءها  
الحقيقي من العقل والعلم .

وربما كان شوقي أحق الشعراء الثلاثة بأن يعاتب في هذا  
الموضوع . نعم هو أحقهم بالعتب فهو من بينهم قد تعلق  
بأرسطاليس وأراد أن يشيد بذكره ويرفع من شأنه ،  
وخص له في قصيدته أكثر مما خص للأستاذ المترجم ، ولعلك  
تدهش ، ولعل شوقي نفسه يدهش اذا قلت لك وله فإنه لم  
يمدح أرسطاليس وإنما مدح أفلاطون . . . نعم ، أراد  
عمرأ وأراد الله خارجة ، ولكنه أراد عمراً بالخير  
فأنصرف هذا الخير عن عمرو الى خارجة ، لأن الشاعر لم يحسن  
تلمس السبيل الى عمرو . ولولا أن نفوس الفلاسفة  
والحكام رضية بطبيعتها لكان من حق أرسطاليس أن  
يخاصم شوقي ، وأن ينفس على أفلاطون أستاذة هذا المدح  
الذي جاءه من حيث لا يحتسب . أراد شوقي أرسطاليس  
وأراد الله أفلاطون . ولست في حاجة الى أن أطيل القول  
في أن شوقي لم يمدح أرسطاليس ، فيكفي أن تقرأ قصيدة  
شوقي لترى أنه يصف أرسطاليس بأنه سبق الى التوحيد  
فأعلنه قبل البنية والحطيم ، وقبل المسيح أيضاً وبأنه كان

قدسى الروح ، وبأن لطفى صدى صوته الرخيم ، وبأن رسائله  
كالسلافة إذا جرت فى جسم النديم . وإذا كان بين فلاسفة  
اليونان من سبق الى اعلان التوحيد فليس هو أرسطاليس  
وربما لم يكن هو أفلاطون ، بل ربما لم يكن هو سقراط أيضاً  
فقد سبق فلاسفة الى اعلان التوحيد فى القرن الخامس قبل  
المسيح ، ولكن الشئ الذى يستحق العناية هو أن هناك  
فيلسوفاً يونانياً يقرن المسيح ، وتعتبر فلسفته أصلاً من  
أصول الديانة المسيحية ومصدراً من مصادرها ، وليس هذا  
الفيلسوف أرسطاليس وإنما هو أفلاطون ، أفلاطون  
صاحب المثل ، أفلاطون الذى أمعن فى طلب المثل الأعلى  
والذى استطاع أن يرقى بالنفس الانسانية والفكرة الالهية  
الى حيث لم يسبقه ولم يدركه فيلسوف بعد . أما أرسطاليس  
فقد كان مقصوص الجناح ، أو قل لم يكن له جناح يصعد به  
فى السماء ، ولهذا لم يصعد أرسطاليس فى السماء ، ولعله لم  
يرفع بصره الى السماء وإنما خفضه الى الأرض ، ذلك لأنه لم  
يكن يستوحى الحق من السماء وإنما كان يستنبطه من الأرض  
استنباطاً . وإذا كان هناك فيلسوف تلاثم فلسفته الشعر حقاً ،  
أو قل اذا كان هناك فيلسوف هو الشاعر حقاً فهذا

الفيلسوف هو أفلاطون لا أرسطاليس . ولو عرف شوقي  
إله أرسطاليس هذا الاله العاجز الجاهل المفتون بنفسه  
المنصرف الى جماله عن كل شيء ، الذى لا يعلم الا نفسه ولا  
يفكر الا فى نفسه ولا يعجب الا بنفسه . أقول لو عرف  
شوقي إله أرسطاليس هذا لرثى لأرسطاليس نفسه ولما  
استطاع أن يقول :

من كان فى هدى المسيح  
وكان فى رشد الحكيم  
وغدا وراح موحداً  
قبل البنية والحطيم

كلا ، لم يكن أرسطاليس فى هدى المسيح ولا فى رشد  
الحكيم ، ولم يخطر التوحيد كما نفهمه لأرسطاليس ، ولعله لم  
يخطر لغيره من فلاسفة اليونان القدماء ، ولكن الشيء المؤلم  
حقاً هو أن يقول شوقي عن أرسطاليس :

ورسائل مثل السلا ف اذا تمشت فى النديم  
قدسية النفحات تسكر بالمذاق وبالشميم  
بالطف أنت هو الصدى من ذلك الصوت الرخيم

أى الرسائل يريد ؟ ومن الذى يستطيع أن يزعم أن آثار  
أرسطاليس تشبه السلافة من قرب أو من بعد ؟ ومن  
الذى يستطيع أن يزعم أن فى رسائل أرسطاليس شيئاً  
قليلاً أو كثيراً من هذه النفحات القدسية ؟ ومن الذى  
يستطيع أن يزعم أن صوت أرسطاليس كان رخيماً ؟  
أفهم جداً ألا يتعمق الشعراء فى فهم المذاهب الفلسفية  
- وإنما أريد شعراء خاصة - وأعذر شوقي وغيره إذا  
خيل اليهم أن توحيد المسيح أو توحيد المسلمين هو توحيد  
على كل حال، وقد لا يصح أن نلح على شعرائنا فى أن يدرسوا  
ما بعد الطبيعة ، ويتقنوا مذاهب الفلاسفة فيه ، كما كان يفعل  
أبو نواس، ولكن الذى لا أستطيع أن أفهمه ولا أن أعذره  
هو أن يجهل الشعراء وأئمة البيان إلى هذا الحد فيخيل اليهم  
أن أرسطاليس كان حلواً نثر رخم الصوت قدسى النفحات  
تشبه آثاره بالسلافة ، صف بهذه الأوصاف كلها أفلاطون  
فإن تبلغ من وصفه ماتريد ، ولكن لا تصف بها أرسطاليس  
فكم كد نثر أرسطاليس عقولاً وصدع رؤوساً ؟ والأستاذ  
لطفى السيد مع أنه لم يترجم عن اليونانية شهيد بأن نثر  
أرسطاليس لا يشبه الخمر ولا يشبه العسل ولا يشبه الماء

وليس فيه من النفحات القدسية قليل ولا كثير ، ولكنه نثر  
عالم قد أتقن لغته ، وعرف كيف يستغلها ويستثمرها ويلازم  
بينها وبين حاجات العلم والفلسفة . أنت لا تحمد أرسطاليس  
ولا تحسن اليه بهذه الصفات ، فقد لا يكون من الخير للعالم أن  
تكون لغته ساحرة فتانة لأن العلم لا يحتمل سحر اللغة وفتنتها .  
وإنما هو محتاج الى الدقة والى التشدد فى الدقة ، والى أن يسمى  
الاشياء بأسمائها . ولكنى قد قلت لك إن شوقى أراد  
أرسطاليس وأراد الله أفلاطون .

على أنى أنتقل من هذا العيب الى عيب آخر يشبهه ، وقد  
اشترك فيه شوقى وحافظ ونسيم وغيرهم من الكتاب أيضا ،  
وهو أنهم لم يقرأوا كتاب الأخلاق ولم يقدروه قدره ولم  
يفطنوا للغرض من تأليفه ومن ترجمته . فهم قد فتنوا بلفظ  
الأخلاق ، وخيل اليهم أن أرسطاليس قد قصد إلى إصلاح  
الأخلاق يوم ألفه ، وأن لطنى قصد إلى إصلاح الأخلاق يوم  
ترجمه ولعل الرجلين قد فكرا فى شيء من هذا ، ولكنى أستطيع  
أن أؤكد للشعراء والكتاب أن الغرض الأول من تأليف  
الكتاب وترجمته على لا عملى ، وأن المؤلف والمترجم أراد  
خدمة الفلسفة قبل أن يفكرا فى الوعظ والإرشاد . وما أظن



أن كتاب أرسطاليس في الأخلاق يصلح مرجعاً للوعاظ والمرشدين ، وإنما هو مرجع حسن لصديقنا الدكتور منصور حين يدرس علم الأخلاق لطلابه في الجامعة وفي مدرسة الحقوق . وهل أستطيع أن ألفت شوقي الى أنه قد مدح أفلاطون ولم يمدح أرسطاليس حين قال :

يبني الشرائع للعصور بناء جبار رحيم

فقد يكون أرسطاليس درس السياسة ووضع في هذا الدرس أصولاً قيمة ولكنه لم يبين الشرائع ، وإذا كان هناك فيلسوف يوناني شرع للناس فهو أفلاطون صاحب القوانين . كل هذا يدلنا على ما قدمت من أن شوقي لم يدرس أرسطاليس قبل أن يمدحه فلندع هذا العيب الأساسي الى ملاحظات أخرى فنية :

انظر الى هذه الأبيات :

وسريت من شعب الألب به الى وادي الصريم

فتجارت اللغات للغايات في الحسب الصميم

لغة من الاغريق قيمة وأخرى من تميم

الاحظ قبل كل شيء أنى لو كنت مكان شوقي لما ذكرت

الألب بعد أن زعمت أن أرسطاليس كان على نهج المسيح

وفي رشد الكليم ، فالألب مستقر الوثنية اليونانية وعلى قمته  
كان يقوم قصر كبير الآلهة زوس ، وألاحظ بعد هذا أن  
القافية قد عبثت بهذه الآيات عبثاً غير قليل ، فما وادى  
الصريم هذا ؟ وما صلة لطفى السيد بوادى الصريم ، وهو انما  
نقل أرسطاليس الى وادى النيل ؟ وما شأن تميم ؟ وهل من  
الحق أن اللغة التي ترجم الكتاب اليها هي لغة تميم ؟ وهل  
نعرف لغة تميم حقاً ؟ ولم لا تكون لغة قريش فهي لغة  
القرآن وهي اللهجة العربية الوحيدة التي نعرفها حقاً ؟ ولكن  
تميماً والصريم ينتهيان بالميم ، وكنت أحب ألا يخضع شوقي  
للقافية هذا الخضوع .

وبعد فان من الجحود والظلم ألا أثنى على هذا البيت  
القيم الملائم للحق ملاممة تامة وهو قوله :

لمسوا الحقيقة في الفن      ن وأدركوها في العلوم  
هذا البيت آية في الصدق فقد لمس اليونان الحقيقة في  
الفن وأدركوها دون أن يلمسوها في العلم ، أكرر ان هذا  
البيت آية في الصدق ومثل جيد للإيجاز البديع . وقد أسرف  
في الظلم ايضاً اذا لم اثن على هذا الجمال اللفظي في قوله :  
العاشقين العلم لا      يألونه طلب الغريم

المرضين عن الصغار والرعاة والنمير  
وإن كان لفظ الصغار لا يعجبني . وقد يكون من  
الانصاف أيضاً أن أثني على هذه الآيات التي تمثل أنصاف  
شوق ووفاء وكرم خلقه :

قسماً بمذهبك الجيد ل ووجه صحبتك القسيم  
وقديم عهد لا ضئيل ل في الوداد ولا ذميم  
ما كنت يوماً للكناينة بالعدو ولا الخصيم  
لما تلاحي الناس لم تنزل إلى المرعى الوخيم  
كم شاتم قابلته بترفع الأسد الشتم  
وشغلت نفسك بالخصيب من الجهود عن العقيم  
نخدمت بالعلم البلا د . ولم تنزل أو في خديم  
واندع قصيدة شوقي إلى قصيدة حافظ ولن يكون موقفنا  
مع حافظ أشد حرجاً ومشقة من موقفنا مع شوقي ، ذلك  
لأن حافظاً يزعم شيئاً ونحن نزعم شيئاً آخر ، قلنا إن  
شعراءنا الثلاثة لم يقرأوا كتاب أرسططاليس وما نظن أنهم  
تجاوزوا مقدمة المترجم العربي ولكن حافظاً يزعم لنا أنه  
قرأ الكتاب فيقول :

إني قرأت كتابه بين الخشوع والاعتبار

فاذا المؤلف مائل جنب المترجم في إطار  
وعليهما نور يفيض من المهابة والوقار  
كلا يا حافظ ، لم تقرأ الكتاب ولم تتجاوز مقدمة الأستاذ  
لطفى السيد ، ولم تر المؤلف والمترجم مائلين في إطار وإنما  
تخيلتهما كذلك وأنزل شعرك عليهما هذا النور الذى تذكره ،  
وأنا زعيم بأنك لن تجادل ولن تمارى أفما أقول . فلو أنك  
قرأت الكتابات حقاً ورأيت الفلاسوفين فى هذا الاطار  
يفيض عليهما هذا النور لقلت فيهما كلاماً غير هذا . وهل  
تريد أن تقنعى بأن شاعراً مثلك مجيداً غنياً خصب الخيال  
يستطيع أن يقرأ كتاباً ككتاب أرسطاليس ويتفهمه دون  
أن يوحى اليه الشعر آية من آيات البيان فى وصف هذا  
العقل الذى لم تعرف الانسانية مثله بعد ؟ كلا ، أنت  
كشوقى لا تعرف أرسطاليس ولم تقرأ ترجمة الأستاذ لطفى  
ولكنك أحق بالرضا وأقل تعرضاً للعتب من شوقى ، ذلك  
لأنك ذهبت مذهب أرسطاليس فلم تلتمس ما ليس فى يدك  
ولم تتجاوز الأفق الذى أنت فيه ، مدحت لطفى خاصة  
وتأدبت مع أرسطاليس لا أكثر ولا أقل ، ومن هنا أحسنت  
فى مدح لطفى احساناً لا بأس به وان لم يقصر عن مثله شوقى

ولكن حدثني عن هذا البيت :

بكتاب رسطاليس تاج نواذر الفلك المدار  
ألم يثقل عليك ؟ أتعجب هذه الاضافات ؟ وما معنى  
نواذر الفلك المدار ؟ وما معنى تاج هذه النواذر ؟ وما  
معنى أن يكون كتاب أرسطاليس تاجاً لهذه النواذر ؟  
أتعرف أني لا أفهم شيئاً إلا أنك سلكت هذه الطريقة  
الطويلة لتصل إلى لفظ المدار لتظفر بقافية وتحشر في  
القصيدة بيتاً كنت تستطيع أن تزهد فيه ، وكذلك استعبدتك  
القافية في قولك :

زن الكلام كأنه ماس بميزان النجار  
فما ميزان التجار ؟ وما الحاجة إليه إلا لأنه قافيه ؟  
ولكني أثني في غير تحفظ على هذه الآيات الجيدة حقاً  
الصادقة حقاً :

|                     |                      |
|---------------------|----------------------|
| قالوا لقد هجر السيا | سة وانزوى في عقر دار |
| ترك المجان لغيره    | ورأى النجا مع الفرار |
| لا تظلموا رب النهى  | وحذار من خطل حذار    |
| هجر السياسة للسيا   | سة لا لنوم أو قرار   |
| لو أنهم علموا الذي  | يبنى لهم خلف الستار  |

وإن كنت أجد شيئاً من الابتذال في قوله ( ترك المجال  
لغيره ) وأشعر بأن لفظ ( مع ) شديد القلق في هذا الشطر :  
« ورأى النجاة مع الفرار ، وهلاقال : ورأى الركون إلى الفرار .  
وهل يأذن لي حافظ في ألا أحب » لقم الطريق ، في قوله  
واجعل على لقم الطريق صوى تلوح لكل سار  
وقد يكون اللفظ صحيحاً ولكن ليس كل صحيح جيداً  
ملائماً للغة الشعر . وأكبر ظني أننا مدينون بهذا البيت كله  
للفظ الساري فهو قافية والسرى يستتبع الصوى والأعلام ،  
والصوى والأعلام تستتبع الطريق ولكنها لا تستتبع » لقم  
الطريق ، وهل يغضب حافظ إذا لم أرتح إلى قوله :  
عجل بها قبل » الفساد د ، وقبل عادية البوار  
وأنا أعلم أنه يطلب إلى الأستاذ لطفى السيد أن ينشر  
كتاب » السياسة ، قبل كتاب الكون والفساد ، ولكن ألا  
يشاركنى حافظ في أن ضرورات الشعر قد تكون منكراً  
أحياناً ، وفي أن التعبير بالفساد عن كتاب الكون والفساد  
ضرب من هذه الضرورات المنكرة ، ولكن أشد من هذه  
الضرورة نكراً ( عادية البوار ) التي جاءت لا أدري لماذا ؟  
أستغفر الله جاءت للقافية فأخرها راء ، وويل لشعرائنا من القافية !

وسواء أَرْضِي حَافِظَ أم غَضِبَ فسأقول ما في نَفْسِي  
ورزقي على الله - كما يقولون - ظن حَافِظ أن كتاب السياسة  
لأرستطاليس قد يعيننا على معالجة السياسة الانجليزية وحل  
المسألة المصرية ، ولهذا آثره على كتاب الكون والفساد  
وطلب إلى الأستاذ لطفى أن يقدمه وأن يستعجل في نشره .  
ولم لا ؟ ألسنا متعجلين في حل المسألة المصرية ، تتحرق  
أكبادنا ظمأً إلى الاستقلال التام أو الموت الزؤام ، ولكن  
كتاب السياسة لا يقدم ولا يؤخر في حل المسألة المصرية ،  
ولا في فهم السياسة الانجليزية ، ولن ينتفع به الوفد الرسمي  
الذى سيعالج شامبرلين أو كرزن أو ماكدونالد ، كما أن الشيخ  
الجرى لن ينتفع بكتاب الأخلاق حين يريد أن يعظ المجرمين ،  
ولندع قصيدة حافظ إلى قصيدة نسيم .

• • •

ولكنى متهم حين أعرض لنسيم فقد تفضل بالشاء على  
وأشار إلى أن لى ثراً يعجبه . على أنى سأكون حراً  
وسأغضب نسيماً كما أغضبت صاحبيه فهو مثلها ينتظر من كتاب  
الأخلاق ما ينتظران وما لم ينتظر أرستطاليس ولا لطفى ،  
وكما أن شوقي قد أخطأ حين قارن بين أرستطاليس والمسيح فقد

أخطأ نسيم حين ذكر هو ميروس على أنه من شعراء المدح ،  
وحين تمنى أن يوفق لمدح لطفى شاعر كهو ميروس ، فما كان  
هو ميروس مادحاً ولا هو من أصحاب المدح وإنما هو ميروس  
وأصحابه أهل قصص واشادة بذكر الأبطال الذين انقضت  
عصورهم ، فأما صاحب المدح من شعراء اليونان فهو بنداروتلاميد  
وشعراء الاسكندرية خاصة ككاليماك وتيوكريت وغيرهما  
وقد لا تخلو قصيدة نسيم من ملاحظات لفظية وتكلف  
من شأن القافية ، ولكنى أعترف - لا لأن نسيم ذكرنى - ...  
بأن قصيدة نسيم أقل تكلفاً من قصيدتى صاحبيه بل أعترف  
بشيء آخر أجل من هذا خطراً ، أعترف بأن فى قصيدة نسيم  
شيئاً من الخفة لم يوفق إليه شوقى ولا حافظ وانظر إلى  
مطلع قصيدته :

شعر يزف بلا نسيب      وبلا شكاة من حبيب  
ما عيب مرقصة خلت      من ذكر غانية لعوب  
وفى هذا الكلام - على أنه عادى - شيء من الظرف  
والعذوبة ، وفى قصيدة نسيم شيء آخر ، وهو أن شخصيته  
ظاهرة مؤلمة مؤثرة ، فهو لم ينس ابنه الذى فقده ، ولم  
يكره وهو شاعر أن يتحدث بحزنه وبثه إلى عمدوحه وهو



فيلسوف ، وأحسب أن الأستاذ لطفى تأثره بهذه الآيات من قصيدة نسيم أكثر مما تأثر بمدح نسيم وصاحبيه فأنا أعرفه حساساً رقيق النفس .

وفي قصيدة نسيم هذه الآيات التي تقدمه على صاحبيه لأن فيها فكرة طريفة جريئة ، أليس يتمنى على جلالة الملك أن يكل تربية وليّ العهد إلى لطفى مترجم أرسططاليس كما وكل فيليب تربية الاسكندر الى ارسططاليس :

ليت الملك وقد رأى ما فيك من خلق رحيب  
يدلى اليك بناشئ في حجر سدة ريب  
تسقيه من نهى العلو م ووردها غير المشوب  
وتريه في ريعانه وضح المسالك والدروب  
فهنالك الفاروق يصبح كابن فيلبس المهيب  
يمشى بنورك في الصبا ويشيد باسمك في المشيب  
أنا أقدم في هذه المرة نسيماً على صاحبيه .